شعبة التعبئة والتثقيف والاعلام

الظاهرة الحزبية فى الوطن العربى

شعبة التعبئة والتثقيف والاعلام

الظاهرة الحزبية
فى الوطن العربى

الظاهرة الحزبية فى الوطن العربى

مقدمة

من يحكم العالم ..؟
من يقتل الأبرياء ..؟
من يدمر أسس وأركان المجتمعات البشرية ..؟
من يسرق الأحلام السعيدة من عيون الأطفال ..؟

مئات ومئات من الأسئلة التى تطرح نفسها على خارطة العالم السياسية المعاصرة وهى الأسئلة التى تولدت مع ميلاد الصراع السياسى على السلطة فى الماضى والحاضر .. فكيف يكون المستقبل ؟

قد يحدثك البعض عن المشكلات العالمية ، فيضع مشكلة التهديد النووى على رأس المشكلات التى تُرعُب العالم وتخيفه .. وبضرب لك مثلاً بين الوقت المتاح بين معرفة الصاروخ المتجه إلى هدفه وبين إتخاذ قرار مواجهته فى أى إتجاه قد تقلص اليوم ليصبح أربع دقائق فقط بين المعسكرين المتواجهين الشرق والغرب

تلك بعض اسباب الخوف فى العالم كما يطرحها علماء الدراسات الإستراتيجية والسياسية ولكن هناك أسباب أخرى أكثر خطورة وتدميراً وهى لاتحتاج لضغط أزرار ولاتحسب بالدقائق والأرقام .. هى قائمة تدمر المجتمع ببطء وتثير الفتن الطائفية وتطحن الملايين من الأرواح فى اكثر من قارة من قارات العالم إنها موجات التطاحن المريب الذى تثيره الأحزاب والتنظيمات السياسية فى صراعها المدمر على السلطة مما جعل العالم المعاصر أشبه بغابة مليئة بالوحوش المفترسة يحكمها قانون الغاب ... إن العالم مازال ينزف والمعركة يَلْتَمِعُ سلاحها فى كل قارات العالم .. فالمشكلة وهى تمتد جغرافيا منذ تلك النشأة . نشأة الظاهرة الحزبية .

الأحزاب : جغرافية الأفكار المتصارعة

ظاهرة الأحزاب والتنظيمات السياسية . ظاهرة حديثة النشأة أخذت تتبلور بعد فشل أنصار الإتجاه الفوضوى إبان «كومونة باريس» التى قامت فى الفترة ـ مارس ـ مايو من العام 1871م .[1]

وقبل قيام «الكومونة» كان الصراع على أشده بين التيارات الدينية والفلسفية والتيارات الإشتراكية الثلاثة ـ الاشتراكية المثالية التى كانت تتمثل فى افكار (سان سيمون) و (شارل فورييه) و (روبرت أوين) وغيرهم والإشتراكية الفوضوية بقيادة «لويس بلانكى» و «كارل باكونين» والإشتراكية العلمية (المادية) التى جسدتها وقتذاك كتابات كل من «كارل ماركس» و «فريديرك إنجلز» وغيرهما .[2]

وفى الواقع لم يكن مفهوم الحزب الحديث قد تبلور قبل كتابات ماركس وانجلز . إذ كانت هناك بعض الرابطات الأممية أو الحركات العمالية والفكرية أو النقابات والأندية الثقافية والإجتماعية ذوات النزعة السياسية والرامية إلى إحداث تغيرات جذرية فى البنية الإجتماعية أما مفهوم الحزب لم يكن قد تبلور بعد فى

وحدة متكاملة أو فى نظرية شمولية قابلة للتطبيق كما هى عليه فى الوقت الحاضر[3] وبقى الحال كذلك حتى ظهور (البيان الشيوعى) الذى إنتقد بعنف الإشتراكية الغابية (المثالية) لرفضها «العنف كقابلة للتاريخ» والصراع الطبقى كصانع له وأنتقد كذلك النزعة الفوضوية بإعتبارها نزعة تحرق المراحل أو التعقيب التاريخى للتطور البشرى وتدعو إلى زوال الدولة قل الأوان . وصاغ نظرية شبه متكاملة حول «دكتاتورية البروليتاريا» وطالب بايجاد رابطة تنظيمية بديلة عن الروابط الشيوعية والعمالية القائمة تنسق العلاقات بين مختلف فروع ومنابر الحركة الشيوعية فى اوروبا[4] واستمرت المحاولات العديدة التى قام بها أنصار الإشتراكية «المثالية» لإرساء دعائم مبادئهم وأفكارهم فى المجتمع الاوروبى وإشتد الصراع الفكرى بين أنصار الإشتراكية الغابيه والإشتراكية المادية وإستمر هذا الصراع الفكرى يأخذ مداه الزمنى والطبيعى إلى أن إندلعت ثورة 1905م فى روسيا القيصرية وأدى فشلها إلى بلورة بعض المنطلقات النظرية عند لينين فى كيفية بناء الحزب[5] .

فقد إعتبر لينين أن أحد أسباب فشل ثورة 1905م هو عدم وجود حزب منظم يجيد لعبة التحالفات

والقيادات وصياغة التكتيكات السياسية المرحلية أو الإستراتيجية[6] إذ أن لينين يدعو إلى تنظيم حزبى يكون أعضاؤه من طبقة العمال لأن العمال تربطهم كما يقول لينين وأنصار الاشتراكية «المادية» مصلحة مشتركة والدفاع عن هذه المصلحة لاتكون إلا بتصفية الأعداء تصفية دموية وهذا ماجعل النظرية (المادية) الشيوعية نظرية صراع دموى قهرى بين طبقات المجتمع لاتراعى مطلقاً كرامة الانسان وحريته فى الإختيار .

ويذهب لينين إلى أن شروط إكتمال هذا الحزب الدموى وقيامه تبدأ من خلال الإقرار بنقطتين هما :

النقطة الأولى : الوعى الخارجى «الوعى يأتى للطبقة العاملة من مصادر خارجية ويتأثر مباشرة من الطبقات لاخرى .

النقطة الثانية : تبلور الوعى الطبقى عند المثقفين الثوريين والإلتزام بمصالح البروليتاريا «الطبقة العاملة» والتى تمر بثلاث مراحل كما حددها لينين وهى :

[1] وعى الطبقة العاملة لغيرها .
[2] وعى الطبقة العاملة بذاتها .
[3] وعى الطبقة العاملة لذاتها .

وحتى تتحقق هذه المطالب والظروف كما يقول لينين فى نظريته الدموية لابد من إتباع الإسلوب التالى :

(1) تصفية أعداء الشيوعية .
(2) إستخدام الإرهاب المنظم لإجبار الآخرين للانضمام إلى الحزب وتبنى أفكار وأمانى البروليتاريا .

ومن خلال هذه الرؤية الدموية التى وضعها لينين لحزبه نلاحظ أن الكيفية التى صاغها لينين وأنصاره تقوم فى الواقع على خلق أداة حكم كتاتورية تمكن أصحاب الرؤية الواحدة ـ البروليتاريا ـ (طبقة العمال) من حكم بقية أفراد الشعب بأكامله على الرغم من أن الحزب يشكل الأقلية بالنسبة للشعب .

فأعضاء الحزب الشيوعى ينتمون إلى نفس الطبقة الإقتصادية والإجتماعية ولهم نفس المصالح فى ضوء طبيعة الطبقة التى يتكون منها الحزب الشيوعى يصبح من المستحيل أنه يسعى إلى نظام سياسى وإقتصادى وإجتماعى عادل متكافىء فهم (أعضاء الحزب)

المستفيدون وهم نتاج لنظام سياسى وإقتصادى غير عادل وموجودون هناك للحفاظ عليه .

لأن الغاية الأساسية التى حددها أنصار الإشتراكية المادية تهدف إلى حكم بقية أفراد الشعب حُكماً دكتاتورياً مطلقا بواسطة حزب البروليتاريا .

ومن خلال تحليل هذه الأفكار التى صاغها الشيوعيون لتصورهم لدور الحزب فى العملية السياسية والإقتصادية والإجتماعية نجد أن الاحزاب بدل أن تكون أداة للتحرر الوطنى لخدمة الشعب ولبلورة الإدارة الشعبية أخذت إتجاهاً معاكساً للجماهير وأصبحت وسيلة إضطهاد تسعى وراء مصالحها الأنانية الضيقة وفى هذا يقول فانون :

«إن الحزب الذى إختار أن يكون حِزَباً وطنياً والذّى يَدعي بأنه يتحدث بإسم كل الشعب أصبح يمثل سراً وعلناً «دكتاتورية حقيقية» وهناك بعض الأحزاب السياسية نشأت بطريق مختلف ولم تخضع للمنظور الشيوعى ولذا يقتضى الحديث عن أصل نشأة الأحزاب أن نتناول بالتحليل أولا الأحزاب ذات الأصل الإنتخابى وندرس ثانياً كيفية نشؤ الأحزاب التى تكونت خارج هذا الإطار .

اولاً : الأحزاب ذات الأصل الإنتخابى أو البرلمانى .

يقصد بالأحزاب ذات الأصل البرلمانى أو الإنتخابى تلك الأحزاب التى تكونت وتطورت نتيجة لتطور «المجموعات البرلمانية» او «اللجان الإنتخابية» وهذا التطور واضح المعالم يتلخص فى ظهور المجموعات البرلمانية (أولاً) تم تشكيل اللجان الإنتخابية (ثانياً) تم إقامة علاقة دائمة بين هذه التنظيمات .

البند الأول : المجموعات البرلمانية

كان ظهور المجموعات البرلمانية سابقاً على تشكيل اللجان الإنتخابية فهذه المجموعات تكونت بفعل «الزوايا السياسية» أو الايديولوجية الواحدة التى كانت بمثابة «المحرك» الذى ساعد على تكوين هذه المجموعات غير أن الأمر لم يكن بهذا الوضوح منذ البداية فكثيراً ما كانت إعتبارات «الجوار الجغرافى» أو الرغبة فى الدفاع عن المصالح المهنية هى التى دعت إلى تكوين الجماعة البرلمانية ومع مرور الأيام تتبلور الرؤية السياسية لكل مجموعة بحيث تتحول المجموعات البرلمانية إلى مجموعات مصنفة «ايديولوجياً»[6].

ولعل أوضح مثال على ذلك نشأة «المجموعات البرلمانية» فى ظل الجمعية التأسيسية الفرنسية عام 1789م ففى شهر الطير «إبريل» من عام 1789م وصل الى فرساى مندوبو الأقاليم الذين يمثلون الشعب الفرنسى فى الجمعية المذكورة (وفقاً للنظرة التقليدية) وقد عمد مندوبو كل إقليم إلى التجمع معاً ، بقصد تجاوز الشعور بالعزلة والتنسيق فيما بينمهم للدفاع عن مصالحهم المشتركة وقد كان مندوبو منطقة الـ «برتيانى» هم السابقون إلى تكوين مجموعتهم البرلمانية وقاموا بإستئجار أحدى القاعات فى مقهى من المقاهى يقصد تنظيم لقاءاتهم وإجتماعاتهم وبعد فترة لاحظ أعضاء المجموعة أن إجتماعاتهم لاتنصب على مناقشة المسائل الاقليمية المتعلقة بهم فحسب بل إمتدت مناقشاتهم إلى المسائل السياسية العامة والمشكلات الوطنية لذلك سعى أعضاء المجموعة إلى ضم غيرهم من «المندوبين» الذين ان لم يجمع بينهم الرابط «الإقليمى» فإنهم يتفقون فى الرؤية السياسية . وبذلك تكونت أول مجموعة برلمانية عرفت بإسم مجموعة النادى البرتيانى[7] .

وعندما إنتقلت الجمعية التأسسية من فرساى إلى باريس ظلت هذه المجموعة تبحث عن مقر لها إلى أن

إستقرت فى مطعم دير «اليعقوبيين» وإشتهرت المجموعة بهذا الإسم وعرفت من تم بإسم «مجموعة اليعقوبيين» وعلى غرارها وبنفس الإسلوب تكونت مجموعة أخرى عرفت بإسم مجموعة «حضن الكنيسة» وتدل نشأة هاتين المجموعتين على الأصل الإقليمى لنشأة المجموعات البرلمانية وعلى تحول تلك المجموعات بعد فترة إلى مجموعات سياسية[8] .

ويقتضى الأمر فى هذا الصدد عدم الخلط بين هذه المجموعات الإقليمية النَشّأَةِ وبين تلك التى كانت تعرف بـ «أماكن تجمعها» فهناك بعض المجموعات البرلمانية التى إشتهرت بأماكن إجتماعها منها مثلاً مجموعة القصر الوطنى (جمهوريين) ومجموعة المعهد (ملكيين كاثوليك) ولكن هذه المجموعات تختلف فى نشأتها تمام الإختلاف عن المجموعتين الاولتين (مجموعة اليعقوبيين ومجموعة حضن الكنيسة) فالمجموعة الثانية والتى إشتهرت بأماكن تجمعها كانت تلتقى فى هذه الأماكن نظراً لما يجمع بين أعضائها من وحدة الفكر والإتجاه السياسى لذلك كان تجمعهم قائماً على أساس إيديولوجى منذ البداية بدلاً من الإلتفاف حول رابط إقليمى تم إكتشاف الرابط الإيديولوجى فيما بعد .

ولكن أياً كان الأمر فمن الواضح أن كلا النوعين من

المجموعات البرلمانية كانا ذا طابع سياسى سواء منذ بداية اللقاء والتجمع بين أعضاء المجموعة الواحدة (كما هو الحال بالنسبة للنوع الثانى من هذه المجموعات) أو فى نهاية الأمر بالنسبة للنوع الاول الذى إلتقى أعضاؤه حول رابط «إقليمى» ثم سرعان ما إضطروا بحكم السير الطبيعى للامور إلى إتخاذ مواقف سياسية عامة من القضايا الوطنية فترتب عليه أن إنضم إلى هذه المجموعات من شارك أعضاءها فى الرأى والموقف السياسى حتى لو كان من «الجيران» جغرافياً ولكنه صار من الغرباء سياسياً وبذلك أصبح الرابط «السياسى» هو المحرك الجامع لأعضاء الجماعة البرلمانية الواحدة[9] .

على أن قيام الأحزاب السياسية لم يرتكز فقط على الجماعات البرلمانية بل إستند أيضاً إلى الهيئات واللجان الإنتخابية وهى تلك الهيئات التى كانت تتكون بقصد تعريف الناخبين بالمرشحين وتوجيه الناخبين نحو مرشح معين وقد إرتبط ظهور هذه الهيئات بظهور مبدأ الإقتراع العام وتطوره ولكن رغم إرتباط تكوين الهيئات الإنتخابية بتقرير حق الإقتراع العام إلا أنه يصعب وصف الإسلوب الذى تم به تكوين هذه الهيئات فى البلدان المختلفة نظراً لأن الطرق الخاصة بكل بلد تختلف عن الأخرى من حيث التنظيم والأهداف السياسية

والايديولوجية .

ثانياً : أحزاب التكوين الخارجى .

إن التفرقة بين الأحزاب ذات الأصل البرلمانى والإنتخابى .

وأحزاب التكوين الخارجى ليست تفرقة قاطعة بقدر ما هى محاولة لبيان العنصر الغالب فى تكوين الحزب وما إذَا كان هذا العنصر داخلياً أم خارجياً وغالباً ما تتداخل «طريقتا» تكوين الحزب لذا يطلق على حزب ما أنه ذو «تكوين برلمانى أو إنتخابى» أو أنه ذو «تكوين خارجى» بحسب العنصر الغالب فى تشكيل الحزب فأحزاب التكوين الخارجى يطلق عليها هذا التعبير نظراً لأن الحزب أو أغلب هيئاته تكونت بمعرفة هيئة قائمة تمارس نشاطها بعيداً عن الإنتخابات والبرلمان ففى هذه الحالة يكون العنصر الخارجى واضحاً للعيان وهذه الظاهرة ليست إستثنائية فالعديد من الأحزاب تكونت بفضل جماعات وهيئات خارجية على هذا النحو وأضح الأمثلة فى هذا الصدد هو المثال المأخوذ عن دور النقابات فى خلق الأحزاب فالعديد من الأحزاب الإشتراكية تم تكوينها بمعرفة النقابات وبحيث كانت هذه الأحزاب بمثابة

الهيئة الممثلة «للنقابة» فى مجال النشاطات البرلمانية والإنتخابات وفى هذا الصدد ينبغى الإشارة أيضاً إلى مجهودات الجمعيات التعاونية والزراعية والهيئات المهنية الزراعية فى إنشاء الأحزاب فعلى الرغم من أن الأحزاب الفلاحية لم تتطور بنفس درجة تطور الأحزاب «العالمية» فإن لها فى بعض البلاد دوراً لايمكن تجاهله ، وعلى الأخص فى الدول «الإسكندنافية» وأستراليا وكندا والولايات المتحدة الامريكية ، حقيقة أن بعض هذه الاحزاب تكونت وفقاً للصورة التى رسمناها فيما سبق ولكن أغلبها نشأ وفقاً للنمط الذى أنشىء به حزب العمل البريطانى ذو الإتجاه الليبرالى بمعنى أن الجمعيات التعاونية الزراعية أو المنظمات المهنية الزراعية قررت إما تكوين منظمة «برلمانية وإنتخابية» وإما تحويل «النقابة أو الجمعية» إلى حزب مباشرة .

والواقع أن الهيئات الخارجية هى التى ساعدت على إنشاء أحزاب متعددة : فهناك مثلاً الجمعيات الفكرية فى القرن الثامن عشر والإتحادات الطلابية وما مارسته من تأثير على الحركات الشعبية خلال القرن التاسع عشر وماترتب عليها من ظهور أحزاب اليسار فى أوروبا والدور الذى لعبته الجمعيات الدينية (فى بلجيكا على الأخص) فى تكوين الأحزاب الكاثوليكية وحتى جمعيات «قدماء

المحاربين» كان لها دورها أيضاً فى تكوين الاحزاب فى أعقاب الحرب العالمية الأولى[10] .

وفى سياق هذا التعداد لاينبغى أن ننسى أو نتجاهل دور «الجماعات المحظورة ، أو الجمعيات السرية» فى تكوين الأحزاب فهذه الجماعات والجمعيات غالباً ماتسعى الى تحقيق هدف سياسى ولكنها لاتستطيع أن تباشر نشاطها جهراً نظراً للحظر المفروض عليها أو لأنها لاتريد أن تَفْصَحَ عن وجودها صراحة ولكن بمجرد أن يزول الحظر عنها تسعى هذه الجمعات الى التحول الى أحزاب سياسية وهكذا نجد فى أعقاب الحرب العالمية الثانية العديد من جماعات المقاومة فى البلاد التى تم تحريرها نحاول أن تتحول إلى أحزاب سياسية وفى الواقع تحول العديد من جماعات المقاومة إلى أحزاب دكتاتورية حيث أن الأنظمة السياسية التى تولدت عنها لاتعترف الا بنظام الحزب الواحد أو التنظيم السياسى الواحد الذى يسير طبقاً لإرادة الحكم لذلك يقال فى الأنظمة الدكتاتورية إن الدولة هى الحزب والحزب هو الدولة .

ومن المألوف فى النظام الدكتاتورى «الكذب السياسى» لأن جميع أجهزة الدولة موجهة لخدمة الحاكم بوصفه الزعيم الأوحد وليسود البلاد النفاق السياسى . لذلك نجد أن الأنظمة الدكتاتورية ذات الحزب الواحد

السائدة فى العالم المعاصر تحد من الحقوق والحريات العامة وتمارس القمع والإرهاب النفسى والجسدى ضد الجماهير الشعبية التى لاتجد أى مجال لحرية الرأى والتمتع بالحقوق المدنية والسياسية .

الأحزاب الأوروبية ،،الإرهاب والدجل السياسى،، .

إرتبط تطور الأحزاب والتنظيمات السياسية فى أوروبا بظهور الهيئات الإنتخابية فيها وهى فى الواقع هيئات تكونت لخدمة المصالح الخاصة للشركات الاستعمارية التى كانت تستنزف خيرات الشعوب المستعمرة التى خضعت للنفوذ الاستعمارى الغربى على أثر حركة الكشوف الجغرافية وما نتج عنها من تدافع القوى الاستعمارية إلى قارات العالم وحتى يستطيع المستعمرون تحقيق مآربهم الإجرامية فى التحكم فى إقتصاديات الشعوب وربطها بالثقافات الأوروبية .
شرعوا بتأسيس أنماط حزبية شبيهة بالأنماط الحزبية السائدة فى الدول الاوروبية بل وغدوا هذه الأحزاب بعد أن وضعوا لهم عملاء على رأس كل حزب بالاتجاهات والأفكار التى تخدم مصالحهم ومخططاتهم «اللصوصية» وحتى يحققوا مخططهم بصورة دقيقة

عملوا على تأسيس أكثر من حزب سياسى داخل القطر الواحد بهدف تجزئة الشعب إلى أحزاب أو تقسيم إرادته بينها .

أصبح حقيقة واقعة لاتعانيها الأحزاب وحسب بل يدفع ثمنها الشعب الذى يقبل أن يضع ثقته فى صناديق الأحزاب ويولى أموره للدوائر الإستعمارية التى تقرر مصير الأحزاب من جهة ومصيره ومستقبله من جهة أخرى تم يكتشف الشعب أن الوعود التى جاءت بها الاحزاب قد تبخرت وهكذا يتحول من حزب إلى آخر فى دوامة من الصراع النفسى والجسدى غالباً ماينتهى به إلى هزيمة داخلية تجعله يخضع فى نهاية المطاف إلى القوى الاستعمارية وأعوانها من العملاء المندسين وكثيراً ماالقيت الاحزاب السياسية التى أقامها المستعمرون فى الدول المستعمرة إلى تنمية الحركات الطائفية وتشجيع النعرات الطائفية والحروب الأهلية فالقوى الاستعمارية الأوروبية هدفت من وراء نشر الظاهرة الحزبية فى المستعمرات إلى تمزيق الجماهير الشعبية وضربها بعضها ببعض .

إن الذين يدّركون الأضرار التى تحيق بالآخرين من جراء تفشى الظاهرة الحزبية والصراع السياسى على السلطة يقدرون تفاهة الأنظمة الحزبية وعجزها عن خلق

المواطن الصالح والمبدع ويطالبون بأعلى صوتهم بضرورة التحول إلى إسلوب بديل يحرر الإنسان من كابوس الظلام ومرض العصر الذى يدمر المجتمعات البشرية ويثير الفتن والدسائس ويمزق أبناء الأمة الواحدة إلى أحزاب متصارعة همها الوحيد الوصول إلى السلطة وتحقيق أطماعها الشخصية الانتهازية .

ومن هنا يمكن القول بل والتأكيد على أن الظاهرة الحزبية هى ظاهرة إستعمارية تعرض وحدة الأمة للخطر حيث تؤدى إلى تقسيم الأمة داخلياً إلى فرق أو جماعات وتحاول كل فرقة أو جماعة أن تستولى على الحكم لمصلحتها .

حتى إن الشعوب الأوروبية نفسها لم تسلم من مآسى الصراع الحزبى فمثلاً التطاحن بين الأحزاب الألمانية الخمسة فى أعقاب الحرب العالمية الأولى وما أدى إليه من تمزيق الشعب الألمانى الذى إنقسم إلى دولتين تسيطر على كل واحدة منها قوى سياسية عالمية لكل منهما إيديولوجية الخاصة والأمثلة على ذلك كثيرة .

تحديد مفهوم الحزب :

من المعروف أن هناك العديد من الأراء فى تحديد مفهوم الحزب ويعود ذلك بطبيعة الحال إلى إختلاف النظريات والفلسفات والتيارات الفكرية والسياسية

ومهمـا يكن من أمر فـإننا سـوف نسوق إليكم أبـرز هذه التعاريف .

«يـرى موريس ديفـرجيـه من جهتـه أن هنـاك عـدة نظريات تتعلق بموضوع الحـزب هناك المفهـوم الليبرالى الذى ينظر إلى الحزب كجماعـة عقائـدية ـ فـالحزب هـو إجتماع رجال يعتنقون العقيدة السيـاسية نفسهـا ، أما المفهوم الماركس للحزب فيرى بنجامان كوستان أنه «يقوم على الطبقة العاملة بعكس المفهوم الشيوعى الـذى يركـز على مسائل تتعلق بمستوى المعيشـة والمهنة والثقـافة تم الولاء السياسى[11] .

وهناك تعريف دى جون «إن الحزب هـو مجموعـة من الناس تحاول عن طريق الانتخاب أن تجلس أعضاءها فى مـراكز الحكم وبـذلك تسيطـر على أعمـال الحكومـة أو توجهها والحزب السياسى بالمعنى الرأسمالى الغربى ليس سوى نمط من عدة أنمـاط من المجموعـات أو الكتل التى تحاول أن تسيطر على جهاز الحكومة وسياستها الداخلية والخارجية[12] .

والحزب فى المفهوم الإشتـراكى التقليدى «يطلق عـلى مجموعة من الناس تربطها مصالـح إقتصاديـة فى المحل الأول وتحاول أن تصل إلى الحكم عن طريق الإصلاح أو الثورة ومن هنا نجد أن هذا المصطلـح يميز بـين أحزاب

البرجوازية والإقطاع وبين الأحزاب الاشتراكية .

أما تعريف الحزب كما جاء فى الكتاب الأخضر «يعتبر الحزب أداة دكتاتورية تمكن أصحاب الرؤية الواحدة أو المصلحة الواحدة من حكم الشعب باكمله .. والحزب هو الأقلية بالنسبة للشعب .. إن الغرض من تكوين الحزب هو خلق أداة لحكم الشعب أى حكم الذين خارج الحزب بواسطة الحزب[13] .

«والحزب يقوم أصلاً ممثلا للشعب تم تصبح قيادة الحزب ممثلة لأعضاء الحزب ثم يصبح رئيس الحزب ممثلاً لقيادة الحزب ويتضح أن اللعبة الحزبية لعبة هزلية خادعة تقوم على شكل صورى للديمقراطية ومحتوى أنانى سلطوى أساسه المناورات والمغالطات واللعب السياسى ذلك مايؤكد أن الحزبية دكتاتورية صريحة وليست مقنعة إلا أن العالم لم يتجاوزها بعد فهى حقاً دكتاتورية العصر الحديث»[14] .

ومهما يكن من تناقض التعاريف الرأسمالية والشيوعية لمفهوم الحزب فيبقى السؤال «من الذى جمع أى جماعة لتكون حزباً وتحكم عن طريقه الشعب؟»

بلاشك أن الحزب يريد أن يحكم والجماهير ترفض حكمه وتريد أن تحكم نفسها هذه هى العلاقة الجدلية بين الجماهير الشعبية وبين أدوات الحكم التقليدية وهى

علة الصراع المستمر الذى تتجلى مظاهره فى أمريكا اللاتينية وأفريقيا وأسيا والوطن العربى بل فى العالم المعاصر برمته بين جميع الشعوب ومختلف أدوات الحكم المتحكمة فيها سواء أكانت فرداً أم جماعة حيث تحاول أن تخلق لنفسها فضلاً على الشعب مسخرة فى ذلك دعاية مغرضة لتشويه وعى الجماهير حيث «ان الجماهير أصبحت تغذيها الدعاية الزائفة وهذا شىء متعمد الغرض منه الاستيلاء على السلطة والدعاية الزائفة تحبط المعنويات فى المجتمع بنشر الزيف وإخفاء الحقيقة . كما أنها تخنق المنطق وتقتل الفكر وتلهب العواطف وفى إندفاعها العاطفى وفى ضوء حرمانها من قوة المنطق ترغم الجماهير على فعل مايريده القادة السياسيون وهذا يترتب عنه إنتصار الفوضى ، إن ظهور هذا النوع من سيكلوجية القطيع يقتل الديمقراطية والنصر دائماً حليف الزعيم الذى يجز الآخرين فى نشر الزيف والأكاذيب»[15] .

ففى هذا العصر إكتسبت الدعاية نتيجة للتطور فى مجالات الالكترونات والإتصالات أبعاداً جديدة بحيث أصحب الزعماء السياسيون قادرين على إيصال أصواتهم إلى أبعد المناطق فى بلادهم . وهذه الأمكانيات العلمية تتوفر للاحزاب بقدر توفر مواردهم المالية فالحزب

الغنى يمكنه القيام بدعاية أحسن وبالتالى يطغى على الأحزاب الفقيرة الاخرى المنافسة له ولهذا لايوجد تكافؤ فى الإنتخابات بين الاحزاب السياسية فكفة الحزب الاغنى هى الراجحة دائماً والبرلمانات التى تنتج عن عدم التكافؤ هذا لاتمثل ولاتعكس الإرادة العامة للجماهير .

وعلى ضوء هذا يمكن لنا أن نصنف الأحزاب والتنظيمات السياسية الموجودة فى العالم المعاصر على النحو التالى :ـ

(1) **التنظيم السياسى** : الذى يقوم حول شخصية إعتبارية واحدة «مثال هيئة التحرر القومى الفرنسية التى التفت حول الجنرال ديغول» وحزب المؤتمر حول غاندى .

(2) **التنظيم السياسى** : الذى ينشأ على أساس تحقيق مبادىء إيديولوجية وبعيدة المدى «الأحزاب الإشتراكية الشيوعية» .

(3) **التنظيم السياسي** : الذى يقوم من أجل ممارسة السلطة فى أحسن الظروف الممكنة «الاحزاب الانتهازية المؤقتة» .

مع ملاحظة :

إنه فى نظام الحزب الواحد يكون رئيس الدولة هو نفسه رئيس الحزب الحاكم وكذلك الوزراء والنواب وكبار الموظفين فى البلديات والمقاطعات والشركات والمصارف والامن والجيش والبوليس هم المسئولين الحزبيين فى الحزب الحاكم .

وتقف الجماهير الشعبية خارج الحزب وقد إمتلكتها الدهشة متسائلة بصوت قوى . من أعطى الحزب الحاكم الحق فى السيطرة على جميع مرافق البلاد دون أن يسمح لأحد بالاقتراب لأى منها ؟ من الذى منح الحق فى العمل بإسمها ؟

ومن هنا تبدأ حركة الرفض الشعبى لكل سلطة غير سلطة الشعب وما المظاهرات الشعبية وأعمال العصيان فى العالم إلا تعبيراً صادقاً عن رفضها للنمط الحزبى ومفهومه الإرهابى السلطوى الدموى برمته .

هذا ويميز موريس ديفرجيه بين التعدد فى الاحزاب السياسية وبين التعدد فى كل نمط من الاحزاب السياسية فيرى أن تقسيم الأحزاب إلى إشتراكية وشيوعية من جهة وديمقراطية وليبرالية من جهة أخرى غير كاف للتميز بين نمط وآخر من الأحزاب ولتحديد سمات عدد معين من الاحزاب داخل هذا النمط بالمقارنة مع عدد آخر

من الاحزاب داخل هذا النمط[16] .

ومهما يكن نمط الاحزاب السياسية وإتجاهاتها وأهدافها المعلنة وغير المعلنة فهى لاتخرج ألبتة عن كونها أداة حكم سلطوى هدفها الوصول إلى السلطة ـ ففى الأنظمة المتعددة الاحزاب حيث الإدعاء العريض بأن الرئيس ينتخبه الشعب وكذلك الحزب الحاكم أيضاً فإن الجماهير الشعبية سرعان ماتعبر عن رفضها للرئيس والحكومة معاً فهل معنى لذلك سوى أن الاحزاب السياسية تسعى إلى التحكم فى رقاب الذين خارج نطاق الحزب من أفراد الشعب ومن هنا يتضح لنا أنه مهما تعددت الأحزاب فالنظرية تظل واحدة بل يزيد تعددها من حدة الصراع على السلطة ويؤدى الصراع الحزبى إلى تحطيم أسس وأركان المجتمع ويدمر العلاقات الاجتماعية بين افراد المجتمع الواحد ويخلف جزءاً من الفوضى والاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتفشى مظاهر الحقد والتطاحن داخل المجتمع الواحد .

فالصراع الحزبى هو أداة تدمير لأن هدف الاحزاب هو الوصول الى الحكم فلكى يحقق حزب المعارضة الفوز وهزيمة الحزب الحاكم لابد له من أن يتناول إسلوبه ومنجزاته بالنقد محاولاً تحطيم انجازاته حتى يثبت

للجماهير الشعبية أن الحزب الحاكم فاشل ينبغى إسقاطه فصراع الاحزاب السياسية يلحق الضرر بالمصلحة العليا للمجتمع فلو توفرت لدى حزب المعارضة قدرة على تدمير مشاريع المجتمع أى المشاريع التى أقامها الحزب الحاكم لدمرها حتى يثبت للجماهير الشعبية فشل الحزب الذى يحكم . وهذه الظاهرة هى السائدة فى العالم المعاصر اليوم دوامة من الصراع الحزبى وعلى إختلاف مذاهبها ومشاربها الفكرية والسياسية تمارس الاحزاب السياسية هذه اللعبة الدموية بكل وقاحة وإجرامية .

فالأحزاب ـ الماركسية أو الليبرالية أو الفاشية تجمع كل التناقضات خاصة إذا عرفنا أن الحزب الماركسى ـ اللينينى ـ يشترط وجود نظرية سياسية ومجموعة من المتفرغين للنشاط السرى الإرهابى .

للتحريض على قيام الثورة واستقطاب الناس حولها وتصفية الاعداء وخلق موجة من الأعمال الإرهابية والتخريبية بهدف تقويض الطبقة الحاكمة وصولاً إلى السلطة كما أن الاحزاب الليبرالية أو الديمقراطية تتفق بدورها فى خطوطها العريضة مع الشروط التى بلورها لينين فى (نظريته الحزبية) صراع الطبقات ولكنها تختلف معه فى بعض الامور التنظيمية والاجرائية فضلاً على أنها

لاتقره الرأى فيما يتعلق بضرورة [قيادة البروليتاريا] للتحول التأريخى وتتمسك بضرورة الإبقاء على إستمرار سيطرة البرجوازية وسيادتها على السلطة والدولة مع الاعتراف بضرورة إصلاح الثغرات التى تبرز خلال الممارسات[17] .

أما فيما يتعلق بالأحزاب الفاشية والنازية والتى تنتشر فى أجزاء واسعة من العالم فإنها لاتختلف سماتها العامة عن تكوين وتركيب الأحزاب الإشتراكية والشيوعية والليبرالية ولكنها بتأليه سلطة الفرد «الزعيم ـ الفوهرر» وماشابه وكثيراً ما تتخذ الاحزاب الفاشية والنازية مواقف انتقامية ضد التيارات والحركات المناهضة لها فطبيعة هذه الاحزاب تدعو إلى إستخدام إسلوب الإرهاب والبطش والتصفية الجسدية وتعادى الاحزاب الاخرى وخاصة الاحزاب الماركسية واللينينية لإنها تدعوا إلى إقامة حكم الحزب الواحد .

وهكذا يتضح لنا أن الحزب ليس مهيأ إلا للبرهنة على كفاءته فى تكييف المجتمع طبقاً لأهوائه التنظيمية من خلال خلق طبقة من البيروقراطيين والدولة المركزية أو بواسطة إيجاد الظروف الملائمة لتشكيل هذا النظام الاجتماعى وعليه فبدلاً من العمل على إنهاء الدول تدريجياً فهو يعمل على خلق ظروف تحتم بقاء الدولة

فالحزب بتشكل بناء على أسس تنظيمية مطابقة للتركيب الاجتماعى الذى يدعى الحزب بأنه يهدف لإنهائه . فالحزب هو تنظيم بورجوازى ودولة مصغرة تملك أجهزة وكوادر مؤثرة مهمته ممارسة السلطة وليس فى برنامجه مايقتضى التخلى عن السلطة لصالح الجماهير .

عارض منظرو الحركة «الفوضوية» التى أشرنا اليها فى السابق الحزبية بناء على ضرورة النضال الذاتى للعمال والعمل المباشر والتنظيم الحر وبذلك كانوا من اكثر من تصدى لدعاة الحزب الذى يمارس السلطة .

إلا أن مفهوم الحزب سواء عند الماركسيين أو الليبراليين أو الديمقراطيين أو الفاشيين يتقاطع فى عدة نقاط رغم إختلاف كل حزب من ناحية المنهج أو التوجه العام أو البرنامج المرحلى وتنحصر نقاط الإلتقاء فى المواصفات العديدة التالية :[18] .

اولاً : ضرورة وجود تحالفات واعداء واصدقاء .

ثانياً : ضرورة وجود عقيدة ثابتة وبرنامج مرحلى سياسى .

ثالثاً : ضرورة تمثيل مصالح فئات إجتماعية محددة .

رابعاً : ضرورة وجود (زعيم) أو «أمين عام للحزب» .

خامساً : وجوب إنتقاء كل اعضاء الحزب من طبقة واحدة .

سادساً : وجوب إنتماء قيادة الحزب إلى الفئات التى تمثلها فى نظريته أو برنامجه السياسى .

سابعاً : عدم وجوب تساو لأعضاء الحزب فى المهمات والمسؤوليات والصلاحيات .

الوطن العربى والأحزاب السياسية

فى الواقع لم يعرف وطننا العربى مرض الأحزاب السياسية بأنماطها وإتجاهاتها المختلفة قبل عام 1950م أى فى ختام الحرب العالمية الثانية وبداية ظهور الإستعمار الجديد وتقسيم المستعمرات بين الدول الكبرى .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا ماهو سبب ظهور

الاحــزاب السيــاسيــة والتنظيمــات السيــاسيــة ذات التراكيب الايديولوجية المختلفة فى المنطقة العربية فى هذه الفترة بالذات[19] .

ويمكن أن نُرجِعَ هذه الأسباب إلى عاملين هما :

[1] **العــامل الأول** :هــو تفكك الــدولة العثمــانية لحظــة إنفجــار الحــرب العــالميــة الاولى وترافقه مــع قيام إتجــاهات فكــرية وسيــاسية متنــوعة تطــالب بتكوين الدولة القومية المستقلة عن الدولــة العثمانية .

[2] **العــامل الثــانى** : إنقلاب مــوازين القوى لصــالح الغرب بعد أن مهد لنفوذه طــرقاً وقواعد للعمل والنشاط السياسى المعادى للاســلام والعروبــة على أســاس مصالحــه الإقتصاديــة والتحاق فئات إجتماعية به .

مما لاريب فيه أن الوطن العربى قد عرف العــديد من الحركات الإستقلالية ضد حكم الأتراك العثمــانيين قبــل ظهور الظاهــرة الحزبيــة ففى بلاد الشــام كان من أبــرز الحــركات التى تطــورت إلى ثورات ، حــركة فخــر الدين

المعنى ـ الكبير ـ من جبل لبنان الذى كان أول من تحدى قوة العثمانيين فى معارك طاحنة حتى إنتهت حياته فى عام 1544م بقصر والى الشام ولكن إبنه قرقماز واصل صراعه مع العثمانيين غير أنه لقى حتفه فى عام 1585م فى أثناء تصديه للقوات العثمانية أما الظاهر العمر الذى استولى على عكا فى 1750م وجعل منها قلعة حصينة لإمارته المستقلة عن الدولة العثمانية متحالفاً مع على بك الكبير لإنشغال الجيوش العثمانية فى حروبها المتكررة ضد روسيا فإنه بعد أن تمكن من تكوين إمارة عربية واسعة شملت فلسطين وجنوب لبنان حيث كانت معظم المدن والقرى تدخل فى إمارته بناء على رغبتهم ولكن العثمانيين وجهوا إليه عساكرهم عدة مرات حتى انتصروا عليه فى عام 1776م عندما لقى مصرعه على يد قائد حرسه المتعاون مع خصومه[20] وكانت أهم حركة استقلالية بمصر بزعامة على بك الكبير وهو من زعما المماليك الذى كان يتولى مشيخة البلد بالقاهرة فى عام 1767م ولكن الأمور لم تستقر له إلا بعد 1767م عندما تغلب على منافسيه وأنزل بهم أشد العقاب مثل عبد الرحمن كتخدا وصالح بك ثم اتبع على بك الكبير سياسة استقلالية بمصر حينما ضرب النقود باسمه وامتنع عن دفع الميرى إلى الدولة العثمانية وضم مدينة

جدة والحجاز إلى مصر كما قوى علاقته مع الظاهر العمر المسيطر على فلسطين وأنجده بقوات مصرية ضد أعدائه عدة مرات بقيادة محمد بك أبو الذهب وغيره الذى طمع فى الحكم لنفسه بدلاً من على بك الكبير مما جعله يتغلب عليه بكل مايملك فى معركة فاصلة بالصالحية (بالشرقية من مصر) وفى 26 الطير (ابريل) 1772م تلك المعركة التى انتهت بانتصار ساحق لابى الذهب الذى تولى الحكم عقب موت على بك الكبير فى 8 الصيف (مايو) 1773م[21] .

وشهدت تونس أيضاً عدة حركات استقلالية ضد حكم العثمانيين الذين كانوا قد استولوا عليها فى عام 1574م وكانت الاسرة المرادية قد نجحت فى فرض سيطرتها على البلاد من 1612 إلى 1702م وهى أسرة غير عربية ثم أعقبتها فى الحكم الاسرة الحسينية التى هى أيضا لاترجع فى أصولها إلى إحدى القبائل العربية .

وكذلك تعرضت شبه الجزيرة إلى عدد من الحركات الاستقلالية مثل محاولة الإمام مطهر فى (1567 ـ 1568م) وحركة القاسم المنصور بالله بن محمد الزبدى .

أما الحركات الاستقلالية التى كانت فى إيالة طرابلس الغرب (ليبيا) ضد حكم العثمانيين فهى كثيرة جداً

لدرجة يصعب علينا تحديد اعدادها وقد أكد ابن غلبون في كتابه التذكار بأن عدد الثورات في طرابلس الغرب قد زاد عن 29 ثورة في الفترة من (1551 ـ 1702م) وتميزت الثورات والحركات الاستقلالية في ليبيا بقياداتها العربية من قبل رجال البدو الذين كانوا يرفضون دفع الميرى للدولة ماداموا قادرين على الدفاع عن أموالهم وأنفسهم ضد الولاة العثمانيين الذين كانوا كثيراً ما استخدموا القسوة والشدة ضد قبائل البدو ظنا منهم أنه سيتحقق الأمن والطمأنينة في البلاد .

ويمكن أن نسجل هنا ملاحظتين على الحركات الاستقلالية في تلك الفترة .

اولاً : أنها حركات لاحزبية أى أنها جاءت نتيجة لإحساس المواطنين بالظلم والقهر والاستبداد العثماني .

ثانياً : كان طابعها قومياً عربياً يهدف الى تحرير الوطن العربي من قبضة الأتراك العثمانيين .

كما يمكن لنا من دراستنا للحركات الاستقلالية في الوطن العربي على مختلف انواعها أن نصل إلى النتائج التالية .

[1] إن الدولة العثمانية فقدت حيويتها ونشاطها كدولة

شـابة منـذ منتصف القرن السـادس عشر الميلادى بعد ان أوكل السـلاطين إلى غـيرهم قيادة الجيـوش ورئاسة مجلس الـوكلاء وانغمسـوا فى الملذات حيث صارت تظهر الى الوجود تدخلات زوجات السلاطـين فى الحكم !! وفى إختيـار ولى العهـد وكـان سليمـان القانونى أول من إبتدع هذه العادات .

[2] كان رجال الإدارة فى الدولة العثمـانية معظمهم أقـل انتاجية وخبرة مع حبهم لجمـع المال بجميـع السبل المشروعة وغير المشروعة كالرشوة وغـيرها ، ممـا كره سكان الايالات فيهم ونظراً لان غالبية كبار الموظفين كانوا من الاتراك فقد سبب ذلك كرهاً شديداً للاتراك أينمـا كـانـوا بـإعتبـارهم طبقـة عليـا يعيشـون فى المجتمع .

[3] إستخـدام الشدة ضـد كل من يعلـو بصوتـه أمـام الناس مطالباً بالعدالة حسب مـا أمر اللـه بها ، فكم من قرية دمرت وكم من قبائل قد أفنيت أو قاربت من الافنـاء وكم من أرزاق قد جمعت غصبـاً من الاهالى الذين كانوا هم فى أشد الحاجة إليها .

[4] كانت الحركات الإستقلالية فى الوطن العـربى تدرك الفرق بين تسلط الولاة المنصبين عليهم وبين الخلافة الاسلامية الممثلة فى السلطان القابع فى قصره بطوب

قبوسراى لاحول له ولاقوة .

[5] إن معظم الحركات الاستقلالية فى الوطن العربى تريد أن تقيم الدولة العربية وفقاً لخصائصها الذاتية والحضارية .

[6] وبالرغم من فشل جميع حركات التحرر فى الوطن العربى فى تحقيق مطامحها بسبب ماحشد لها الاتراك العثمانيون من قوة فإنها ساعدت على زيادة الوعى القومى لذا الافراد لما شاهدوه من مذابح وإبادة من قبل الجنود الأتراك ضد العرب .

[7] قلة هيبة الدولة العثمانية فى نظر الولايات العربية بعدما صارت ترزخ تحت نفوذ الدول الغربية الاوروبية سواء كانت كبيرة أم صغيرة فالامتيازات قد منحت لكل دولة بداية من 1535م مما دفع بالرعايا الاوروبين إلى فرض هيمنتهم على سكان الايالات حيث إحتكروا التجارة والصناعة لأنفسهم[22] .

وما إن وقع الوطن العربى تحت النفوذ الاستعمار الاوروبى حتى أشتدت نيران الثورات فى كل أجزاء الوطن العربى من المحيط حتى الخليج العربى الامر الذى دفع بالمستعمرين من إيجاد وسيلة تمكنهم من اشغال العرب وضربهم بعضهم ببعض حتى يحققوا أطماعهم ومخططاتهم فى نهب خيرات الوطن العربى ،

فكانت فكرة الأحزاب والتنظيمات السياسية حيث نقلوا ما كان سائداً فى المجتمع الاوروبى إلى ساحة الوطن العربى بعد أن شجعوا عدداً كبيراً من أبناء الطبقات الاستقراطية الموالين للاستعمار بتبنى الاحزاب وكانوا بذلك كالببغاوات حيث قام عدد كبير من (الببغاوات) فى الوطن العربى بنسخ الصورة الحزبية التى كانت سائدة فى أوروبا وقتذاك ومن ثم جاءت هذه التنظيمات والاحزاب كرديف للثقافة الغربية الإستعمارية وكان من الصعب ظهور حزب سياسى يمثل الجماهير ويناضل من أجل تحرير الوطن العربى[23] .

ولم تستكف الاحزب السياسية فى الوطن العربى بتقليد ونسخ الاساليب الحزبية الغربية الاوروبية بل ذهبت إلى إبعد من ذلك حيث تشير وقائع التأريخ إلى أن الاحزاب السياسية والتنظيمات السياسية المختلفة ذات الشعارات البراقة قد ساهمت من حيث ما تدرى أو لاتدرى فى تدعيم أركان الاستعمار الأوروبى حيث كان المستعمر يرى فى الاحزاب السياسية ذات التركيب الغربى أفضل عون له فى تكريس وجوده اللاشرعى فى المنطقة بل إستثمر الإستعمار الغربى هذه الاحزاب إلى أبعد الحدود وجعلها بطريقة وبأخرى تدور حوله وتخدم أطماعه ومخططاته الإستعمارية

كما كان لوقع الوطن العربى فى قبضة الإستعمار الأوروبى أن برزت إلى الوجود حركات وتنظيمات سياسية نشطة للاحزاب الأممية مثل الحزب الشيوعى وحزب الاخوان المسلمين .

إن أيديولوجية الإخوان المسلمين من الناحية التأريخية هى مأخوذة من أفكار « جمال الدين الأفغانى ثم من تلاميذه الذين منهم « محمد عبده » إلى أن وصلت إلى تلاميذه « حسن البنا » والهضيبى ومن المعروف تاريخياً أن جمال الدين الافغانى يعتبر من الأعضاء البارزين فى الحركة الماسونية والمعروف أنها حركة صهيونية والمؤسون لها هم الصهاينة اليهود فكل الذين أسسوا حزب الإخوان المسلمين هم أعضاء فى الحركة الماسونية ـ الصهيونية وعلاوة على ذلك اذا أردنا أن نكشف الحقائق اكثر تاريخياً ـ فهؤلاء كانوا عملاء للقوى الاستعمارية الاوروبية التى كانت تتصارع على منطقة الشرق حيث تفيد المصادر التأريخية أن هناك إتصالات وإجتماعات مشبوهة تمت بين جمال الدين الافغانى واقطاب القوى الاستعمارية فقد كانت هناك إجتماعات متكررة بين جمال الدين وتشرشل من ناحية وسالزبورج من ناحية أخرى كما إجتمع بالحاكم العام الانجليزى لمصر فى لندن ووعدوه أن يكون سلطاناً على

السودان مقابل أن يتامر على المهديين ـ ثورة الانصار فى السودان ـ واصلح الالمان بينه وبين خان شاه ايران الذى كان قبل محمد رضا شاه وذلك عندما حدث بينهما خصام أدى إلى نفيه والاسباب كما هو معروف تعود لكون جمال الدين الافغانى كان صديقاً حميماً للروس وحتى يتفاهم الألمان مع الروس ومع إيران ضد الانجليز حتى لاينفرد الإنجليز بالحكم فى مناطق الشرق الاوسط والادنى التى تقع فيها الاقطار الاسلامية .

فكل الدلائل والقرائن التأريخية الدامغة تؤكد ان جمال الدين الافغانى كان ورقة يلعبها الالمان ومرة الانجليز ومرة الفرنسين

ان هؤلاء الزعماء الدينيون كان لديهم اطماع سلطوية وعندما وعدهم الانجليز بتحقيق مآربهم فى الوصول الى السلطة وقفوا بجانبهم وعند نكث الانجليز بوعدهم أدى هذا الأمر الى أن يأخذ هؤلاء الزعماء موقفاً من الإنجليز ومن ذلك الوقت أصبح جمال الدين الافغانى واعوانه يعتبرون أن الانجليز هم الاستعمار وهم الصليبية وهم اصحاب المطامع فى البلاد الاسلامية وهم اعداء الاسلام مع ان الاستعمار الغربى تنطبق عليه كل هذه النعوت ... لكن نتيجة للاحباطات التى الحقها بهم الانجليز حاربوا الإنجليز بدعوتهم وهو الذى

ادى الى طـرح فكرة الجـامعـة الاسـلامـيـة والاصـلاح الاجتماعى الاسلامى والنهـوض والحكومـة الصالحـة والحكومة البرلمانية واصلاح احوال المسلمين وتوحيدهم ضد الانجليز [24] إلا أن التيـارات والمذاهب ذات الطـابع الـدينى لم تسعى فى يوم من الأيـام إلى مهمـة التـوحيـد العـربى الاسلامى كقـاعدة لتصليب وتصعيـد النضال ضد العدو الاستعمارى الغربى بل كانت مهمتهـا خدمـة الاستعمار والدليـل على ذلـك أن الاستعمار وبـاجهزتـه المختلفة لم يحرك ساكناً لقمع تلك التيـارات والظاهـرات الحزبية الجديدة التى كانت فى الاصل تتغذى إيديولوجيا من دمـه ولحمه ، فـالتركيب الحـزبى الغربى لـلاحزاب العربية بكـل انماطهـا واتجاهـاتها وتـاثر مؤسسى هـذه الاحزاب بالثقافة الغربية والافكار الماسونية الصهيـونية قد أفقد هذه الاحزاب فاعليتها وجعلهـا تتفرع الى مهمـة الصراع المـرير من أجـل الفـوز بـالسلطـة حيث خـدع المستعمرون كل حزب من الاحزاب على حدة بـأنه سـوف يكون وريثهم من بعده الامر الذى أدى إلى أن تكـون هذه الاحزاب السياسية سواء أكـانت الدينيـة وغير الـدينية العوية فى يد الاستعمار الغربى يحركها كيفما يشـار وفى المسار الذى يخدم مصالحـه ومخططاتـه الاستعماريـة وكانت الجماهير الشعبية فى الوطن العربى مخـدوعة من

قبل قادة الاحزاب السياسية الذين كانوا فى الواقع أعوان الاستعمار وحلفاءه

والذى حدث فى العصر الحديث هو أن القوى الاستعمارية إستغلت حركة الاخوان المسلمين خاصة وأن هناك أهدافاً مشتركة جمعت فيما بينهم الا وهى محاربة القومية العربية فمحاربة القومية هدف مشترك لان الاستعمار يحاول أن يحطم القومية العربية لأنها تؤدى حتماً إلى جعل العرب أمة قوية فى الشرق تسيطر على طرق المواصلات وعلى مواردها الاقتصادية المتنوعة وخاصة النفط علاوة على الاشراف على المناطق الاستراتيجية مثل باب المندب ومضيق هرمز ، وجبل طارق وقناة السويس والبحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر والخليج العربى والمحيط الاطلسى .

وفى الواقع إن الاخوان المسلمين مثلهم مثل الماركسيين الاثنين يمثلان « اممية لاقومية » الإخوان المسلمين أمميتهم اسلامية فى حدود العالم الاسلامى ... والماركسيون أمميتهم عالمية لكن الاثنين يعتبران من الدعوات اللاقومية .... الماركسية تخلق مواطناً ماركسياً ، مواطناً شيوعياً يعني مواطناً عالمياً والاخوان المسلمين يخلقون مواطناً مسلماً .

وانطلاقاً من ذلك إعتنقت الأقليات هذه المذاهب

الاممية .. ومن هنا نجد أن أول من أنشأ الحزب الشيوعى فى مصر يهودى لان اليهود فى مصر يشكلوا أقلية فاليهودى الذى يشعر بالاحتقار لانتمائه إلى أقلية هو أول من إعتنق الماركسية وحاول أن يورط المصريين فى الماركسية حتى لايشعر اليهود أنهم أقلية عندما يتحول المجتمع المصرى والعربى بالكامل إلى الشيوعية ومن هنا يحققوا هدفهم فى الايكون هناك مصرى ويهودى بل كلاهما شيوعى وماعاد واحد منهما ينتمى الى أقلية والآخر أغلبية وعندها يحس اليهودى انه ذاب فى اممية تساوى فيها هو وصاحب الاكثرية .

ومن خلال تحليل الجذور التاريخية لنشأة الاحزاب الاممية نجد أن لها علاقة ترابطية بالاقليات فمثلاً فى سوريا أول من اعتنق الشيوعية هم الاكراد فالذى يقود الحزب الشيوعى السورى خالد بكداش كردى والذى اسس الحزب الشيوعى العراقى عزيز محمد كردى والذى انشأ الحزب الشيوعى التونسى يهودى وهكذا فى بقية اجزاء الوطن العربى نجد أن قادة الاحزاب الشيوعية أو احزاب الاخوان المسلمين ليسوا عربا ومن هنا يتضح لنا أن الظاهرة الحزبية الاممية تعود فى اساسها إلى الشعوبية[25] .

الانجليز والوحى الشيطانى

كما ينبغى علينا هنا أن نشير إلى أن الأحزاب والتنظيمات المذهبية والطائفية التى إبتكرها الإنجليز واستهدفوا من ورائها ضرب الاسلام والمسلمين ، حيث كان الإنجليز من أبرع الناس فى تقليب الأمور على الإسلام وأهله فما نزلوا أرضاً الا خلقوا فيها من القضايا الدينية والعنصرية والسياسية مايجعل طريق العروبة والاسلام مليئاً بالدسائس والمؤامرات .

ومما لاشك فيه أن الدين الإسلامى الحنيف دين تجمع وإنطلاق وأن طبيعته الذاتية تجعله شديد المقاومة لاعدائه وهذه الطبيعة تعتمد على مبادىء وعقيدة جهاد الأعداء والصمود لعدوانهم ولهذا بذل الانجليز إبان مرحلة الإستعمار مع غيرهم من القوى الإستعمارية الصليبية جهوداً خبيثة لسحق العروبة والاسلام وصرف الناس عن الجهاد وذلك بمساعدة بعض المرضى بالجنون الدينى الانحرافى من أمثال مؤسسى الحركات البهائية والقاديانية والوهابية والسنوسية والمهدية بهدف نسخ أركان الجهاد من الاسلام مؤازرة للإستعمار والصهيونية العالمية وعلى هذا الأساس إنتشرت هذه

الحركات وشرعت قوى الدول الاستعمارية الصليبية الحاقدة على الاسلام والمسلمين تساندها .

ومن هذا المنطلق التحمت البهائية والقاديانية وغيرهما من حركات الدروشة الدينية أخيراً بالهجوم الصهيونى ووجدت من الدولارات الامريكية ما يغنيها على التمدد والانتشار ومن المفيد هنا أن نعطى لمحة عن حقيقة هذه الحركات .

منذ مائة عام تقريباً قبض الانجليز على ناصية الهند ، ووضعوا أيديهم على الحكم فى جميع ربوعها واصقاعها وبعد نفى آخر إمبراطور إسلامى من سلالة المغول وهو بهادرشاه ظفر «أخذوا يعملون على تقوية الهنادك واضعاف شوكة المسلمين . فطوراً يعملون على تمزيق وحدتهم وتفريق كلمتهم وطوراً يعمدون الى شراء الذمم من بعض شيوخ الطرق الجاهلين وأضرابهم من علماء السؤ ومرة أخرى يشجعون المتنبئين لخلق ديانات وفرق جديدة واحداث ثغرات فى صفوف الإسلام وهدفهم من ذلك أن يخلقوا الفتنة تلو الفتنة حتى لايستقر أمن ولايستقيم أمر وقد إمتازت مقاطعة البنجاب كأنها مزرعة الأنبياء المزيفين والوحى الشيطانى ولاندرى لماذا أختص الإنجليز هذه المقاطعة تلك النبوءة التى راجت سوقها حتى إمتدت إلى قدس الالوهية .

ومعلوم تاريخيا أن المسلمين كانوا حكاماً بشبه القارة الهندية إلى سنة 1857م وأستولى الانجليز بالقوة الغاشمة على السلطة من آخر المسلمين «بهادرشاه ظفر» وكانوا يعملون على إسترداد حقهم المغتصب وكان الانجليز يدركون أن مسلمى شبه القارة الهندية مستمسكون بعروة دينهم فحاولوا أن يشتتوا شملهم ويفرقوا مجتمعهم فوجدوا فى «ميرزا علام أحمد الذى إدعى فى المريخ (مارس) 1884م انه يلهم من الله ثم ادعى بعد سبعة عشر عاماً 1901م بأنه نبى ورسول» خير عميل لهم إذ قال فى كتابه «تبليغ رسالت» (الجزء 7 الصفحة 10) إنى منذ الصغر إلى أن بلغت ستين سنة من عمرى كنت أحاول فى محاضراتى ومقالاتى أن أخلق الحب والولاء للانجليز فى قلوب المسلمين وأن أحملهم على التخلى عن الجهاد ضد المحتلين الإنجليز ومقابل هذا العمل الجليل كنت أتلقى الهبات والاموال من الإنجليز .

وفى سنة 1900م بنى مسجداً بقاديان ولكن أقاربه الذين سلمهم الله من نزعاته بنوا أمام المسجد جداراً جعل إشياعه لايصلون إلى المسجد إلا بعد أن يمشوا مسافة طويلة فرفع غلام أحمد عليهم دعوى فقضت المحكمة الإنجليزية بإزالة الجدار .

وفى سنة 1905م زعم أنه أوحى إليه بأن الإنجليز هم

أصفياء الله المختارين وفى سنة 1907م قامت حركة وطنية فى البنجاب فانحاز غلام أحمد الى جانب الحكومة الإنجليزية واذاع منشوراً كتبته المخابرات الانجليزية دعا فيه أتباعه إلى موالاة الحكومة الإنجليزية ومساعدتها على إخماد الحركة الوطنية ففعلوا وكان غلام أحمد مبتلى بإسهال مزمن فاشتد عليه وهو فى لاهور ومات فى مايو من السنة 1908م ونقل إلى قادبان ونفى بها .

أما البهائية فهى دين إبتكره الانجليز حيث أن عبد البهاء يمجد الصهيونية والصليبية ولايؤمن البهائيون باليوم الآخر ولا بالجنة ولا بالنار وقد كرس عبد البهاء كل افكاره الشيطانية لخدمة المخططات الاستعمارية الصليبية التى أستهدفت الاسلام والمسلمين .

ووقائع التاريخ تشير إلى أن الإنجليز وعبر عملائهم نقلوا الافكار القاديانية والبهائية وغيرهما من المذاهب والفرق إلى الوطن العربى وإستطاعوا بالفعل أن يجندوا العديد من علماء السؤ ليكونوا رسلهم فى المنطقة ليحققوا من خلالهم وعبرهم مخططاتهم الاجرامية مع ملاحظة أن الدعوات الدينية فى الوطن العربى أتخذت فى مظاهرها بشكل تنظيمات وأحزاب سياسية حيث برزت تيارات فكرية سياسية متصارعة فى الاسلام وقامت بعضها مثل

آلوهابيـة والمهديـة والسنوسيـة وجماعـة الاخوان عـلى أسـاس دينى وكل يستعمـل الاسلام أو يفسره لصـالحه على صعيد الدول والبلدان ، شهـد التاريـخ صراعاً عـلى الخلافة ومركزها بين الاتراك والعرب والايرانيين ، وعـلى صعيد الطبقات الحاكمة أقامت بعض العائلات الحاكمـة شرعيتها على الإنتساب للنبى (كالعائلة السعدية والعلوية فى المغرب والعائلـة الهاشميـة فى المشرق العربى) أو عـلى إدعاء حماية الدين أو على الإستعانة بآيـات قرآنيـة مثل «يايها الذين امنوا أطيعـوا الله وأطيعـوا الرسـول وأولى الأمـر منكم....»(26) كما أرتبطت المؤسسـات الدينيـة بالسلطة فكـان أئمة المسـاجد يختمـون خطبهم بالـدعاء «أنصر اللـهم السلطـان إبـن السلطـان ملـك البـرين والبحرين» .

وكثيراً مايلتقى الدين مع العائلة والطبقة والسياسـة كما تجلى فى اليمن الإمامى عندمـا كانت سيـاسة الحكم الإمـامى تسند داخليـاً على المضـاربة بـين الـزيـديـين والشيعة والشافعيين السنة وكمـا تحالفت الـوهابيـة مع العـائلة السعـودية والإخـوان وكما أسنـدت العائـلات الإقطـاعية فى لبنـان إلى قواعـدهـا الطـائفيـة فى سبيـل السيطـرة والإستمـرار فى الحكم أو كمـا كـان شـأن السنـوسية فى ليبيـا والمهديـة فى السودان والسلفيـة فى

المغرب[27] .

إن هذه الجوانب من علاقة الدين بالسياسة تطرح موضوعاً أسياسياً يتعلق بالوضع الطائفى فى الوطن العربى حيث أن الحياة الدينية فى إطارها الإجتماعى وكما يمارسها المؤمنون فى الواقع «بدلاً من تحليل النصوص المجردة» تقودنا إلى إستنتاج مهم وهو ان الواقع الاجتماعى القائم فى المجتمع العربى المعاصر هو أقرب إلى الواقع الطائفى منه إلى الواقع الدينى نميز هنا بين الدين الذى يشير فى الأساس الى العقيدة والتعاليم والمعتقدات اللاهوتية لجماعة ما والطائفية التى تشير إلى التنظيم الإجتماعى الذى تعتمده الجماعة الدينية مما يحدد هوية المؤمنين وولاداتهم بينما الطائفية جماعة منظمة من الناس يمارسون معتقداً دينياً بوسائل وطرق وفنون وطقوس معينة إنها إذاً تجمع دينى فى الاصل والممارسة والغاية وإذا ما إكتسبت مع الزمن بعداً إجتماعياً سياسياً فذلك عائد إلى نوع فهمها وتطبيقها للدين والى الظروف التاريخية التى إجتازتها ويغلب التوجه الطائفى فى حالات عدة فى حال التفرقة فى الحقوق والواجبات أوحين تتمتع بعض الطوائف على حساب الطوائف الاخرى بالثروة والجاه والنفوذ وفى أزمنة التخلف التى تضعف فيها البلاد ويقوى نفوذ الاجنبى

الذى يعمل علـى التفرقـة فى خدمـة مصالحـه وإستمرار تحكمه وعند اشتداد التنافس بين القوى الكبرى على السيطرة فى المجتمعات الضعيفة ومهما بدت الاحزاب الطائفية قديمة فى الوطن العربى ، فانها لم تنفصل فى أى مرحلة من مراحلها عن الاستعمار : هو الذى غذاها إن لم يكن خلقها هو الذى أتخذ منها أداة سياسته يدعم بها وجوده والوان . ان الصليبية تذرعت إبان مرحلة إستعمار الوطن العربى بحماية الشيعة من السنيين فضلاً بطبيعة الحال إن زعمها حماية المسيحيين من إضطهاد المسلمين - إن الاستعمار الغربى لكى يضرب العناصر الثورية بعضها ببعض فيضمن بقاءه وضع عامداً متعمداً «نظام الاحزاب الطائفية الذى يحدد إطار الحكم على أساس دينى وخلق بذلك بذور الطائفية فى الوطن العربى ثم عمل الاستعمار الاوروبى بنفسه يستغل الطائفية بلا مواربة وكسياسية مرسومة - فاحتضن الأقليات وعمل على شعور بكيان خاص لها بعد أن إستعمل الإرساليات التبشيرية ووضع بعض الجماعات فى مواقع التميز الإقتصادى والسياسى والاجتماعى أقام مؤخراً الكيان الصهيونى كنموذج للكيانات الطائفية ومن الوسائل التى لجأ اليها الإستعمار الغربى تغذية الفكرة التى توصل إليها بعض

المحللين السياسيين من أن الصراع بين الغرب والعالم الاسلامى هو صراع دينى ومن هنا تحريض المفوض السامى الفرنسى بقوله فى دمشق : «لقد عدنا ياصلاح الدين» فأعتبر هذا القول شماتته الكبرى ولذلك نجد أن هذه النبرة ذاتها شجعت نبرة مضادة ان الفراغ الذى حدث نتيجة غزو الاستعمار الاوروبى للوطن العربى تسبب بحصول إنقسام بين المسلمين والمسيحيين واستعملت الطائفية كأداة حزبية سياسية حسب التنظيم الطائفى ، حيث توزع المسلمون بين سنة وشيعة وإسماعيلية ودرزية ووهابية وسنوسية وعلوية ومهدية وزيدية وشافعية واباضية .. الخ وتنوع ضمن الطائفة الواحدة الإنتماءات الاثنية والقبلية والمدارس التشريعية والحركات الدينية والاقليمية والمعيشية والطبقية والإلتزامات الخارجية كذلك توزع المسيحيون بين كاثوليك وارثوذكسى وموارنة وأقباط وإنجيليين ـ الخ وتتوزع كل هذه الطوائف حسب الإنتماء الأثنى فيكون هناك مثلاً كاثوليك شرقيون ولاتين وسريان وكلدان وأرمن وأمشورين .. الخ لقد إستغلت القوى الاستعمارية الصليبية الأقليات لتستخدمهم فى تحقيق مآربهم الشيطانية .

فحركة القوميين العرب مثلاً أسسها المسيحيون

العرب الأرثوذكس الذين كانـوا يخافـون تحريـر الوطن العربى بعد الحرب العالمية الثانية وتوحيـده على أسـاس دينى باعتبار أن آخر وحدة شهدها الوطن العربى كـانت دينية كالعباسية والاموية والفـاطمية والعثمـانية وتحت هـذا الخوف من أستنهـاض الامة العـربيـة وتـأسيس إمبراطورية إسلامية أو دولة دينيـة فى الوطن العـربى ـ يكـون فيها المسيحيـون العرب أقليـة ومن أهـل الـذمـة يدفعون الجـزية ويعـاملون معـاملة المسسيحى فى دولـة إسـلامية بـادر المسيحيون الـذين تعلموا وتخـرجوا من أوروبـا الى طرح شعـارات قوميـة والى إقـامـة احـزاب علمانية حتى يكون البديل قوميـاً وليس دينياً فيضمنـون أن يتساوى المسيحى بالمسلم فى اطار قومى علمانى .

والإحزاب الشيوعيـة لم تخرج عن هـذا المنوال فقـد أسس خالد بكداش الحزب الشيوعى السورى فى المشرق العربى وهو (كـردى) . لأن الإكراد (أقليـة) فإذا قـامت الوحدة العربية أو الدولة العربية على أساس (قومى) فإن الاكـراد سيكونـون أقلية مضطهـدة لكن لو قـامت دولة شيوعية فى الوطن العربى فتختفى الفـوارق القوميـة بين هذا عربى وهذا كردى لأن الجميع سيصبحون مواطنين شيوعيين فى دولة أممية وليست قومية .

ومن هذا المنطلق نجد أن الاحزاب الشيوعيـة فى مصر

وفى تـونس والمغرب أسسهـا (اليهود) الـذين يعتقـدون نفس الاعتقاد إذا توحد الوطن العربى على أساس قومى أو دينى يصبحونت فيه أقليـة ومن أهل الـذمة وبـالتالى بادروا وطرحوا الشيوعية وليس من أجل الاشتـراكية أو من أجل الإيمان بـإطروحـات ماركس ولكن من أجـل أن يصبحوا متساوين مع العربى الذى ينتمى للأمة العربية التى ستختفى ويصبـح الجميع مـواطنين شيـوعيـين فى دولة أممية .

وتأسيس الإخوان المسلمين يمثل الإلتجـاء إلى أممية إسلامية كبديل للقومية العربية وهو طرح طـرحه اولئـك الذين يشعرون بأنهم ليسوا عرباً وعنـدما تتحقق أمميـة إسلامية يصبح هذا مسلم وهـذا مسلم متساوين سـواء الذى ينتمى الى أقلية أم الى اكثرية لقد صنع الإنجليـز فى الـواقع هـذه النماذج الحـزبية والتيـارات والتنظيمـات السياسية ليواجهوا التيار القومى من الأقليات وليضربوا فى النهـاية تيـاراً بتيار ويحققـوا أهـدافهم فى التحكم فى الوطن العربى .

وهكـذا الحال نجـد أن طبيعة الأحـزاب والتنظيمات السيـاسية عـلى إمتـداد الـوطن العـربى من المحيط الى الخليج العربى قائمة على أساس طائفى .

وما دمنا بصدد الأحزاب السياسية فى الوطن العربى علينا أن نذكر أن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر قد إستطاع الغاء الأحزاب السياسية فى مصر وإستبد الها بتنظيم يمثل تحالف قوى الشعب العاملة اطلق عليه [الاتحاد الاشتراكى العربى] بحيث تنصهر فيه مختلف الفئات الشعبية ذات المصلحة الحقيقية فى الثورة إلا أن هذا التحالف كان يفتقر إلى التكافؤ الإقتصادى بين هذه الفئات وإمتزاج الهدف الثورى للتنظيم السياسى بالممارسة اليومية للسلطة حيث كان رئيس الجمهورية هو رئيس الإتحاد الإشتراكى العربى ، ولمثل هذه الأسباب استطاع أنور السادات وبسهولة بعد أن إستولى على السلطة فى مصر عقب وفاة جمال عبد الناصر أن يعصف بهذا التنظيم الهش ويعيد مصر مرة أخرى إلى نظام الأحزاب والتنظيمات السياسية ودائرة الإستعمار والصراع السياسى من جديد إذْ أن التجربة الناصرية فى أيام عبد الناصر وسياقها يختلفان عما نحن عليه اليوم وبالتالى فإنه من غير الممكن أن نطبق اليوم ماكان معمولا به بالامس ، ففى المرحلة الناصرية كان جمال عبد الناصر على رأس السلطة ومايمثله من قوة دفع للثورة وأهدافها وهو كان مع الجماهير ولها وأعطاها عمره اما اليوم فإن الوضع يختلف تماماً حيث كل إمكانيات مصر وقوتها

موظفة بفعل ـ إتفاقيات كامب ديفيد ضد حـركة التقـدم والثـورة والتنظيمات الحـزبية ذات الشعـارات البراقـة والمتصـارعة داخـل الساحـة المصرية من اجـل السلطة تعمل بعكس إتجاه الجماهير وهـذا دليل آخـر على فشـل الأحــزاب وعــدم مصــداقيتـهـا فى تحقيـق مطـالـب الجماهير[28] .

وعليـه ينبغى قلب معادلـة التجربـة الناصريـة التى بدأت من فوق والأخذ بالـديمقراطيـة الشعبية السليمـة التى تمتلك فيها الجماهير كـل مقاليـد أمرهـا فى السلطة والثروة والسلاح .

وصـورة الوطن العـربى الحاليـة كبيئة قـائمـة حيث لايزال الوطن العـربى على إمتـداده الجغرافى من المحيط إلى الخليج العربى يعانى من سطوة الأحزاب السياسيـة والتنظيمات الطائفية المتصارعـة من أجل السلطـة ففى الساحة العـربية المصريـة برزت من جـديد إلى السطـح الأحزاب السياسية القديمـة ، مثل حـزب الوفـد وحزب الأخـوان المسلمين والحـزب الشيوعى وحـزب الاتحـاد وحـزب الشعب وحزب الأمـة وميلاد التنظيم النـاصرى والبعثيـين وهى نفس الأحزاب التى خلفهـا الإستعمـار الإنجليزى إبان سيطـرته عـلى مصر وهى نفس الاحزاب التى لعبت دوراً فى تدعيم أركان الإستعمار الإنجليزى فى

مصر والسودان وأدى صراعها المرير من أجل السلطة الى إحداث خلافات حادة بين المسلمين والأقباط .

وفى الساحة العربية السودانية إستطاعت الاحزاب السياسية ذات النشأة الإستعمارية القفز فوق الثورة الشعبية التى أطاحت بالدكتاتور جعفر النميرى وأستولت على السلطة ونشطت الاحزاب والتنظيمات السياسية وخرجت إلى الوجود مثل الحزب الشيوعى وحزب الإتحاد الوطنى والحزب الديمقراطى السودانى وحزب البعث بجناحيه السورى والعراقى وحزب التحرر الإسلامى وحزب الإخوان المسلمين وحزب الامة وعشرات الاحزاب والتنظيمات فى جنوب السودان وهذا الزخم الرهيب من الاحزاب والتنظيمات أدى إلى تمزيق الشعب العربى السودانى إلى تيارات وتنظيمات وأحزاب متصارعة من أجل السلطة فى الوقت الذى يعانى فيه السودان العديد من المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتى إنعكست على مظاهر الفقر والمجاعة وإرتفاع معدل الامية وأزدياد الديون الخارجية علاوة على الحرب فى جنوب السودان .

أما فى لبنان الذى يشهد بسبب الصراع الحزبى والطائفى أكبر عملية تقتيل وتشريد فإن خارطة الاحزاب والتنظيمات السياسية به تبدو مخيفة للغاية ويمكن أن

نقسمها على النحو التالى :

أولاً : الاحـزاب الطائفيـة : وتشمل/ حـزب الكتـائب/ حزب النجاة .

ثانياً : الاحزاب العقائدية : وتشمـل/ الحزب التقـدمى الاجتماعى/ الحزب الشيـوعى اللبنانى الحـزب التقـدمى الإشتـراكى/ حـزب البعث العـربى الإشتـراكى/ حزب الثـورة الإشتراكيـة/ حزب العمل الوطنى .

ثـالثاً : الاحـزاب التقليديـة : وتشمـل/ حـزب الكتلـة الـوطنية حـزب الاتحـاد الـدستـورى/ حـزب الوطنيين الاحرار/ حزب الكاشناك .

رابعاً : الحركـات السياسيـة وتضم/ حركـة القوميـين العرب/ مؤتمر الخريجيين الدائم/ حركة التقدم الوطنى/ التنظيم الناصرى .. الخ

الا يعتبر هذا شيئاً مثيراً للدهشة حقاً ...؟

وفى المغرب العربى

توجد هناك عشرات الاحزاب مثـل ـ على سبيـل المثال لا الحصر حزب الاخوان المسلمين/ حزب البعث بجناحيه السورى والعراقى حـزب الاتحاد الإشتـراكى العربى/ الحزب الدستورى/ حزب العمال/ الاحزاب الشيوعية/ الحزب الديمقراطى/ الحزب الاشتراكى المغربى الخ .

أما فى الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربى هنـاك مئات الاحزاب والتنظيمات السياسيـة التى تتكرر بنفس الاسماء التى سبق ذكرها فى الدول العربية .

مع ملاحظة أن هذه الاحزاب والتنظيمات السيـاسية على إمتداد الوطن العربى من المحيط الى الخليـج العربى أثبت عجزها فى تحرير فلسطين وفشلها الذريع فى تحـرير جنوب لبنان والأراضى العـربية المحتلـة وأثبتت فشلها فى إحداث تنمية حقيقية فى الوطن العـربى وفى خلق المواطن العربى الحر المبدع والمتألق .. لقد أدت هذه الاحزاب إلى تمـزيق الوطن العـربى وعرضت وحـدة الامة العـربيـة للخطر علاوة على أنها تقليد للمجتمع الرأسمالى الغربى .

الخلاصة :

(1) إن الاحزاب والتنظيمات السيـاسية التى عـلى رأس السلطة او التى تسعى الى السلطة لاتلبى من ناحية

تنظيمية أو عملية أو ممارسة متطلبات عالم اليـوم ، فهى مجرد آلات إنتخابية متفاوتة الفعاليـة من حيث النشاط البرلـانى . إلا أنها لاتصلـح بأى حـال من الاحوال لتميكن الجماهـير الشعبية من الثـورة ضد البـيروقراطيـة وواقع التجـزئة والتخلف السيـاسى والإقتصادى والإجتماعى السائد فى الـوطن العربى وعـدم القدرة عـلى الحـركـة تم تنتهى بسحق حتى أعضاء الحزب أنفسهم وشعاراته المزيفة وإسلـوبه التقليدى فى العمل والأفكار المعلنة والبرامج والوعود التى يستحيـل تحقيقهـا بسبـب طبيعـة الصراع الحزبى المدمر على السلطة بالإضافة لعقم الاحزاب وخمولها وإبتعادها عن الجماهير الشعبية بشكل عام والشبـاب بشكل خـاص كـل ذلـك يبـرهن عـلى أن الأحزاب والتنظيمات السيـاسية فى الـوطن العربى وفى غيره تمر بمـرحلة إنحطـاط وتقهقر وأن نهـايتها بـاتت قاب قـوسين أو أدنى . وأن عصر الجمـاهـير الشعبية الزاحف مطالب بتجاوز الحزبية تم إيجـاد البديل النهائى .

(2) إن الأحـزاب والتنظيمات السيـاسيـة التى تـدعى الثـورة والتى تعمل فى إطـار الأنظمة الـدكتاتـورية لاتتمشى مـع المتطلبات الجمـاهيريـة وكذلـك الحال

بـالنسبة للحـركات الشعبيـة أو حـركـات التحـرر الـوطنيـة التى تستمـر فى النشـاط بسبب ظـروف الاحتـواء التى تحول دون نقـل السلطة للجمـاهـير بحجـة إفتقادهـا للتنظيم الثـورى الـذى لايمثـل فى الواقع سوى خطورة على مستقبل سيادة الجماهـير لأنه يحول دون ممارستها للسلطة وفى كلا الحـالتين فـالأسس التى يقوم عليهـا تتنـاقض مـع تطلعـات الجماهير فى ممارسة السيادة ويحمل فى طياته بـذور التفسخ مما يستدعى العمل لتجـاوز هذه الاوضـاع السيئـة[29] وليس للديمقـراطية الحقيقيـة الا دليـل واحـد وطـريقـة واحـدة وهى طـريقـة المؤتمـرات الشعبية واللجان الشعبية حيث لاديمقراطيـة بدون مؤتمـرات شعبيـة واللجـان فى كـل مكـان وينتهى الحـزب وتنتهى الحكومـة وينتهى الجيش النظامى وتصبـح الجماهـير الشعبية حـرة وتنظم نفسهـا فى مؤتمـرات شعبيـة ولجـان شعبيـة لتحكم نفسهـا بنفسهـا ويصبح الشعب هـو المسئـول عن وجـوده ولايؤكل أية مهمة لغيره بل ينتهى هذا الغير ويصبح الشعار الجديد لانيابة عن الشعب والتمثيل تـدجيل وبالتالى تقوم الجماهـيرية والعـالم يتجه حتمـا هذا الاتجاه ـ يعنى أن المرحلـة النهائيـة ستأتى حتمـاً

وكل المعطيات الموجودة الآن تدل على ذلك ومايطـرق مسامعنا الآن من دوياً قادمـاً من الشمال مصـدره القشعريرة التى تعترى الشباب العاطل عن العمـل والطـلاب وحركـات البديـل والرفض الشعبى وكـل الملمـين بحقيقة الاوضـاع التى تتمثل بـالاستغلال والظلم والقهـر والعسف والجور والتسلـح النـووى والتسـابـق بـين الشرق والغـرب وتلـوث البيئـة والانحطـاط السيـاسى والاقتصـادى والاجتمـاعى والاخـلاقى يدل عـلى أن الجماهـير الشعبية بـدأت تلتمس طـريقها نحـو الإنعتـاق النهـائى من شبـح الانظمة التقليدية السائدة فى عالم اليـوم وسيستمر هذا الزحف الى أن تصل كل الجمـاهير إلى السلطـة وتحقق عصر الجماهير .

المراجع

1 ـ عبدالمجيد ، خشبة ، الاتجاهات السياسية فى الوطن العربى ، بيروت الدار العربية 1972م ص.510 .

2 ـ نويهض ، وليد ، الحزب والسلطة الحديثة . فكرة الحزب فى الوطن العربى دراسة ، مجلة الفكر العربى 1981م ص.142 .

3 ـ سامى ، مصطفى ، تأثير الفكر السياسى الغربى على الفكر السياسيى العربى بيروت دار الطليعة للنشر 1979م . ص.145 .

4 ـ د .على سالم حيدر ، اشكاليات الفكر السياسى . بيروت دار ابن خلدون للنشر 1980م ص.195م.

5 ـ انظر المرجع رقم (2) ص 216 .

6 ـ نفس المرجع السابق .

7 ـ د . حسن خليل ، نافذة على الماركسية ، بيروت دار النهار للنشر 1962م ص.116 .

8 ـ نفس المرجع السابق ، ص.302 .

9 ـ ابو العلاء الـزوى ، ظاهـرة الاحزاب والصراع عـلى السلطة . بحث غير منشور .

10 ـ انظر المرج رقم (2) ص.144 .

11 ـ د. اسماعيل قاسم ، الاحزاب السياسية المعاصرة ، بيروت دار الطليعة 1968م ص.219 .

12 ـ انظر نفس المرجع السابق ، ص.315 .

13 ـ معمر القذافى . الكتاب الاخضر ، الفصل الاول .

14 ـ انظر نفس المرجع السابق .

15 ـ ابـو العـلاء الـزوى ، الصراع السيـاسى ، مقـال صحيفة الزحف الاخضر 1985م .

16 ـ انظر نفس المرجع السابق .

17 ـ د. حمدان جلال ، الاحـزاب السياسيـة المعاصرة . دار الطلية بيروت 1968م . ص.412 .

18 ـ انظر المرجع رقم (2) ص.145 .

19 ـ د.مصطفى الفار ، الاحزاب السياسية فى الوطن العربى ، دار الكتاب بيروت 1966 ، ص.310 .

20 ـ د.كمال عدوان ، الحركات الاستقلالية فى الوطن العربى . بيروت الدار العربية للنشر 1981 ، ص.59 .

21 ـ انظر المرجع السابق ص.60 .

22 ـ انظر المرجع السابق ص.75 .

23 ـ انظر المرجع رقم 15 .

24 ـ معمر القذافى ـ محاضرة فى طلبة واساتذة قسم الجغرافيا بكلية التربية بتاريخ 1984.5.26م .

25 ـ انظر المرجع السابق .

26 ـ د.حليم بركات ، المجتمع العربى المعاصر . بحث استطلاعى اجتماعى . مركز دراسات الوحدة العربية 1984م. ص:244 .

27 ـ نفس المرجع السابق ، انصر ص.244،245 .

28 ـ د.استيبان أبيار ، الحزبية ، منشورات المركز العالمى لدراسات وابحاث الكتاب الاخضر. 1987م ص.19 .

29 ـ انظر المرجع السابق ، ص.20 .


الشركة العامة للورق والطباعة



مطابع عصر الجماهير / المرقب